

المختار

من

فرائد النقول والأخبار

القسم الأول

اختيار وتعليق

محمد عوامته

دار البشائر الإسلامية

المختار من
فرائد النقول والأخبار

حُقوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبعةُ الثَّانِيَّةُ

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار البسائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه مجموعةٌ مختارة من كتاب الله عز وجل باب السعادة وأساسها؛ ومن سنة النبي الكريم ﷺ السراج المنير لهداية الخلق إلى الحق؛ ومن سيرة أصحابه البدور الصدور؛ ومن طرائف أخبار العلم والعلماء، والقضاة النبلاء، والصُّلحاء الأتقياء؛ ومن نوادر النُّبهاء الأذكياء، والأجواد الأسخياء.

كتبتها للبراعم المؤمنة، والفِتية الناشئة، الذين توجَّهوا باختيارهم إلى طلب العلم الشرعي^(١) وعكفوا بقلوبهم على

(١) وكان ذلك سنة ١٣٩٧، وجاء في ثلاثة أقسام، طبعت على الآلة الكاتبة.

دراسة «قال الله، قال رسوله» فإنه العلم الحقيقي^(١).
لذلك تَخَيَّرْتُ هذه النصوص، ملائمةً لهذه الطائفة
المختارة، مُؤاتمةً لحالهم ومسلكتهم وَمَنْزِعَهُمْ، راجياً منهم
الدعاء، ومن الله تعالى الإجابة.

وقد نهجت فيما تَخَيَّرْتُ :

١ - أن يكون جُلُّ ما أذكره متصلاً بالعلم : فضيلته
وشرفه، وتعلُّمه ودراسته، ونشره وإشاعته، والصبر على
شدائده ومشاقه، وتحبيبه إلى نفوس الناشئة وترغيبهم فيه،
وعون الله تعالى لمن وقع في كرب وهو في طلبه وتحصيله،
وذكر تشوُّف كبراء الأمة وتطلُّع نفوسهم إلى الانتساب إلى
شرفه، والاتِّسام بِسِمَتِهِ، وأن يكونوا من أهله وَحَمَلَتِهِ...

٢ - وجانب آخر حَرَصْتُ عليه، هو: ذِكْرُ أخبار الصالحين
وحكاياتهم، وإجابةُ الله تعالى دعواتهم، وإكرامُ الله تعالى
لهم ولو كان فيه تغييرُ المألوف المعتاد، ببركة إخلاصهم مع
ربهم.

(١) العلمُ : قال الله قال رسوله
قال الصحابة، هم أولوا العرفان

فإن «حكايات الصالحين جُندٌ من جنود الله» و«عند ذكرهم تنزل الرحمة» وتنزل عن القلب القسوة، وتروّج الرُّوح، وتستريح النفس، وترقُّ الأفئدة، ولا خيرَ في طالبِ علمٍ ليس له من ذلك حظٌّ وافر، ليُخالطَ حبُّهم سُويداءَ قلبه، فيحشرَ معهم، فإن «المرء مع مَنْ أَحَبَّ».

٣ - والتزمتُ عَزَوَ كُلِّ قولٍ إلى قائله، فإن «من بركة العلم أن تُضَيَّفَ الشيء إلى قائله»^(١)، وحرَّصْتُ أن يكون المصدرُ موثقاً عند أهل العلم، بثقة مصنِّفه.

٤ - ولم أتصرَّف في لفظ صاحبه - إلا باختصاره إن كان طويلاً - بل التزمتُ نقله بالحرف، إلّا ما تقتضيه الضرورة من كُليّات يسيرة للدخول على الخبر، وقد أزيدُ أثناء النصِّ التصريحَ باسم المخاطب والمخاطب - مثلاً - لتيسير فهمِ القصةِ على القارئ لها لأول مرة، وأضعه حينئذ بين معترضتين - -.

٥ - ويرى القارئُ كثرةً في الضبط، وتفسيراً لبعض

(١) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر ٢ : ٨٩، وانظر «بستان العارفين» للإمام النووي ص ٢٨.

الواضحات، وعذري في ذلك مراعاتي لحال من كتبت من أجلهم هذه المختارات.

وإني لأرجو من وراء قراءة هذه (الطاقة)^(١) وتكرارها، تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: غرسُ معاني هذه النصوص في نفوس القراء عامة، والناشئة منهم خاصة، فإن قلب الطفل «جوهرة نفيسة ساذجة» كما قال الإمام الغزالي رحمه الله، أي: إنها تقبلُ كلَّ تأثير ومؤثر، فما تزرعُه فيها اليوم تحصدُه منها غداً.

ثانيهما: تقويمُ لسانِ القارئ وقلَمِه، فإننا قد فقدنا اليوم من أقلام كتابنا الأساليب القويمة القوية، وطغى عليها أسلوبُ الصحافة والإذاعة، ولغةُ أحاديث السَّمَر، والكتابةُ القصصية المنهارة... .

حتى إنك لتقرأ لذوي ألقابٍ علمية عالية، فلا ترى على كتاباتهم مَسْحَةَ الأسلوب العلمي، ولا رَوْنَقَ البيان العربي، فتَحَالُ نفسك تقرأ في جريدة أو مَجَلَّة!

فإذا أَلِفَ الناشئُ قراءةَ نصوصٍ منها ما هو في ذروة

(١) الطاقة: مجموعة من الرياحين والورود، أما الباقية: فمجموعة البقول من المقدونس والنعناع ونحوهما.

البلاغة وجوامع الكلم، ومنها ما هو بأسلوب علمائنا
الغابرين: فيه الجزالة والوضوح، والرّصانة والإشراق...
أقول: إذا أُلِفَ الناشئُ هذا الأسلوبَ، وكرّره، وأبداه
وأعاده، فإن ذلك يساعد على الخلاص مما نشكوه.
والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيق، ومانعُ العطيات، ومُجَزِّل
الهِبَاتِ.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايعنا ولأهلينا وذرياتنا إلى يوم
الدين، إنك سميع الدعاء، وصَلِّ الله وسلِّم على الحبيب
الشفيع، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

المدينة المنورة ٥ / ٤ / ١٤٠٦

محمد عَوَامِر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى إخوانه
النبيين والمرسلين ، وآلهم وأصحابهم ، وتابعيهم
إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا هو القسم الأول من كتاب
«من فرائد النُّقُول والأخبار» أسأل الله تعالى أن
يتفضل بإثابة جامعته ، ونفع قارئه . إنه سميع
مجيب .

محمد دعوائمة

من هُدي القرآن الكريم

١

أولو الألباب

حالهم ، دعاؤهم ، جزاؤهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ
الليلِ والنهارِ : لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) . الذين
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ،
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ، سُبْحَانَكَ ، فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ

(١) أي : لعلاماتٍ لأولي العقول السليمة تدلُّهم على الله عزَّ
وجل . واللُّبُّ : هو العقل الخالص من أيِّ هَوًى أو ميلٍ
وانحراف عن مقتضى العقل السليم .

أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّا
 سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ،
 فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاعْفُ رُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا،
 وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
 رُسُلِكَ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ
 الْمِيعَادَ.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
 عَامِلٍ مِنْكُمْ: مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى، بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
 وَأُودُوا فِي سَبِيلِي، وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا: لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ، ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ
 الثَّوَابِ^(١).

(١) الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١٨٩ - ١٩٥.

عباد الرحمن أوصافهم، جزاؤهم

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ: الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^(١)﴾. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا^(٢). وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ،

(١) هَوْنًا: متواضعين. والجاهلون: المراد هنا الجاهل الأخلاقي، لا الجاهل الذي هو ضد العلم، والجاهل الأخلاقي هو السَّفَه. فالجاهلون: هم السفهاء. وسلامًا: أي: قالوا للسفهاء قولاً لطيفاً ليسلموا من سفههم وأذاهم. وليس المراد منه السلام المعروف، بمعنى التحية.

(٢) أي: والذين يُمضُّون ليلهم بالقيام والسجود لله رب العالمين.

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا^(١). إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
 وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا،
 وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(٢). وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
 إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
 أَثَامًا^(٣). يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
 فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
 مَتَابًا. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
 كِرَامًا^(٤). وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

(١) دائماً لازماً. (٢) وَسَطًا بين الإسراف والتقتير.

(٣) عقوبة، وهي المذكورة بقوله: يضاعف له العذاب... ،
 وسبب المضاعفة: كفرهم بالله ومعاصيهم.

(٤) يشهدون: يحضرون. والزور: الكذب. أي: لا يحضرون
 مجالس الكذب. بل: إنهم إذا مروا بالكلام الساقط اللغو
 الذي حقُّه أن يلغى ويترك: مروا به وبأهله كراماً، أي: =

عليها صُماً وَعُمِيَاناً^(١). والذين يقولون: ربنا هَبْ لنا
 من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ^(٢)، واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
 إِمَاماً. أولئك يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ^(٣) بما صبروا، وَيُلْقَوْنَ
 فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً. خالدين فيها، حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً
 وَمُقَاماً. قل: ما يَعْْبَأُ بكم ربي لولا دُعَاؤُكُمْ^(٤)، فقد
 كَذَّبْتُمْ فسوف يكون لزاماً^(٥).

= مُكْرَمِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ حُضُورِهِ وَسَمَاعِهِ.

(١) لم يَخْرُوا: لم يَسْقُطُوا، أي: لم يَسْقُطُوا عِنْدَ سَمَاعِهِمْ كَلَامَ
 اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وُجُوهِهِمْ شَأْنُهُمْ شَأْنُ الْكَافِرِينَ: فِي آذَانِهِمْ
 صَمٌّ، وَفِي أَعْيُنِهِمْ عَمَى، لَا، بَلْ يَفْتَحُونَ أَعْيُنَهُمْ، وَيُصْغَوْنَ
 بِأَذَانِهِمْ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ، شَأْنُهُمْ شَأْنُ أُولِي الْأَلْبَابِ: الَّذِينَ
 يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

(٢) أي: أَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ صَالِحِينَ تُسَرُّ الْعَيْنُ بِرُؤْيَيْهِمْ.

(٣) الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ الرَّفِيعَةُ.

(٤) الْمَعْنَى: لِمَاذَا يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ لَوْلَا أَنْكُمْ دَعَوْتُمْ مَعَهُ آلِهَةَ غَيْرِهِ.

(٥) مَلَاذِماً لَكُمْ. وَالْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ٦٣ - ٧٧.

فضل من عَلِمَ وَعَلَّمَ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

«مَثَلُ^(١) ما بَعَثَنِي اللهُ به من الْهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ^(٢) قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ^(٣) الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ^(٤) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ

(١) أي : صفةٌ ، وليس المراد به القول السائر في الناس .

(٢) أي : أرض طيبة .

(٣) الْكَلَأُ : النَّبْتُ الرُّطْبُ واليابس ، والعشب : النبت الرطب فقط .

(٤) أجادب : جمع جَدَب - بفتح الدال - وهي الأرض الصُّلْبَةُ .

بها الناس، فشربوا وسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ
منها طائفةٌ أخرى، إنما هي قِيعَانٌ^(١) لا تُمِسُّكَ
ماءٌ ولا تُنْبِتُ كَلأً.

فذلك مَثَلٌ من فَقه في دينِ الله ونفعه ما
بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلٌ من لم يرفعْ
بذلك رأساً^(٢)، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي
أُرْسِلْتُ به»^(٣).

(١) جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٢) أي: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع غيره.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب العلم، باب فضل من
عَلِمَ وعَلَّمَ ١ : ١٨٥ - ١٨٦ من «فتح الباري».

أثرُ الجليسِ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ.

فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ^(١)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً.

وَنَافِخُ الْكَيْرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً»^(٢).

(١) أي: يُعْطِيكَ.

(٢) رواه البخاري في موضعين من «صحيحه» في كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك ٥: ٢٢٧، وفي كتاب الذبائح =

.....
= والصيد باب المسك ١٢/٨٢ وهذا لفظه .

قال العلامة الحكيم الراغب الأصفهاني في «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص ٢٥٥ - ٢٥٦ : «حَقُّ الإنسان أن يتحرَّى بغاية جُهدِه مصاحبةَ الأخيار، فهي قد تجعل الشرَّيرَ خَيْراً، كما أن مصاحبةَ الأشرار قد تجعل الخيرَ شَرِّيراً. قال بعض الحكماء: مَنْ جالس خيراً أصابته بركته فجليسُ أولياء الله لا يَشْقَى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف، حيث قال جلَّ وعزَّ: «وكلُّهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ».

ولهذا أوصت الحكماء بِمَنعِ الأحداثِ من مجالسةِ السُّفهاءِ، وقال أميرُ المؤمنين - عليٌّ - رضي الله تعالى عنه: لا تَصْحَبِ الفاجرَ فيزيَنَ لَكَ فعلُهُ، وَيَوَدُّ أَنْكَ مثْلُهُ. وقيل: جالِسُوا مَنْ تُذَكِّرُكُمْ اللهُ رُؤْيَتَهُ، ويزيد في خيركم نُطْقُهُ. وقالوا: إِيَّاكَ ومجالسةَ الشَّرِّيرِ، فَإِنْ طَبَعَكَ يَسْرِقُ مِنْ طَبَعِهِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي

وليس إعداءُ الجليسِ جليسهَ بِمَقَالِهِ وَفِعَالِهِ فقط، بل بالنظر إليه، فالنظر في الصور يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة إلى خُلُقِ المنظور إليه، فإن دَامَ نظره إلى مسرورٍ سُرَّ، ومن دَامَ نَظَرُهُ إلى مَحْزُونٍ حَزَنَ، وذلك ليس في الإنسان فقط، بل في الحيوان وسائر النبات، فإن الجمَلَ الصَّعْبَ قد يَصِيرُ =

.....

= ذُلُولاً بمقارنة الذَّلُول، والذلُول يصير صَعْباً بمقارنة الصعاب،
والرَّيْحَانَةُ الغَضَّةُ تَذْبُلُ بمقارنة الذابلة. . .
ومعلوم أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة إذا قَرَبَتْ
منهما.

وذلك مما لا ينكره ذو تجربة .
وإذا كانت هذا الأشياء قد بلغت في قبول التأثير هذا المبلغ،
فما الظنُّ بالنفوس البشرية التي موضوعها لقبول صور الأشياء
خيرها وشرها؟! .

الرحلة في طلب العلم

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«قام موسى النبي ﷺ خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه^(١)، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين^(٢) هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف لي به؟»

(١) أي: لم يقل موسى عليه السلام للسائل: الله أعلم.

(٢) البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.

فقيل له : إَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكَتَلٍ^(١) ، فإِذَا
فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمٌّ^(٢) .

فَانْطَلَقَ ، وَانْطَلَقَ بَفْتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَحَمَلَا
حُوتًا فِي مِكَتَلٍ ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا
رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا . فَاَنْسَلَ الْحَوْتُ مِنَ الْمِكَتَلِ
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا^(٣) ، وَكَانَ لِمُوسَى
وَفْتَاهُ عَجَبًا ، فَاَنْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفْتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا^(٤) ،
لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا^(٥) وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى
مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمْرَبَهُ .
فَقَالَ لَهُ فْتَاهُ : أَرَأَيْتَ إِذْ أُوتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ
فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ؟ ! .

(١) هُوَ الزَّنْبِيلُ .

(٢) فَهُوَ ثَمٌّ : أَيِ : فَهُوَ هُنَاكَ .

(٣) أَيِ : طَرِيقًا وَمَسْلَكًا مُسْتَوْرًا .

(٤) الْغَدَاءُ : طَعَامُ الْفُطُورِ . (٥) تَعَبًا .

قال موسى : ذلك ما كنا نَبَغُ^(١) ، فارتدّا على
آثارهما قَصَصاً^(٢).

فلما أتيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مسجّى
بثوب^(٣) ، فسَلَّمَ موسى ، فقال الخَضِرُ : وَاِنِّى
بأَرْضِكَ السَّلامُ؟^(٤).

فقال : أنا موسى .

فقال - الخَضِرُ - : موسى بني إسرائيل ؟ .

قال موسى : نعم . هل أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ
تَعَلَّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً؟^(٥).

(١) أي : نريد ونطلب .

(٢) أي : رجعا يَقْصَانِ وَيَتَّبِعَانِ الطريقَ والأثر الذي جاءا منه .

(٣) أي : مغطى بثوب .

(٤) أي : كيف بأرضك السَّلام ؟ ويؤيده الرواية الثانية : هل
بأرضي من سلام ؟ .

(٥) أي : علماً أكون به من الراشدين المهديين . وفي هذا القول
من موسى اثنا عَشَرَ وجهاً من وجوه أدب المتعلم مع العالم ،
انظرها في تفسير الإمام الفخر الرازي .

قال الخَضِرُ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. يا موسى إني على علمٍ من علمِ اللَّهِ عَلَّمْنِيهِ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمِ عِلْمِكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ. قال موسى: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا.

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بَغِيرَ نَوْلٍ^(١)، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ^(٢)، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقَرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ.

فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ^(٣).

(١) بَغِيرَ أَجْرَةٍ وَجُعِلَ.

(٢) حَرْفُ السَّفِينَةِ: طَرَفُهَا.

(٣) يَرِيدُ تَقْلِيلَ مَا عِنْدَ الْبَشَرِ مِنْ عِلْمٍ، وَإِلَّا فَلَا نَقْصَ.

فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاكِ السَّفِينَةِ
فَنَزَعَهُ .

فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوَلٍ عَمَدَتْ
إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقَتْهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ ! .
قَالَ الْخَضِرُ : أَلَمْ أَقُلْ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا؟ ! .

قَالَ - مُوسَى - : لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ .
فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا .
فَانْطَلَقَا ، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ . فَأَخَذَ
الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ .
فَقَالَ مُوسَى : أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً^(١) بِغَيْرِ
نَفْسٍ؟ !^(٢) .

(١) أَي : لَمْ تُذَنْبِ .

(٢) أَي : لَمْ يَقْتُلْ هَذَا الْغُلَامُ نَفْسًا لَيْسَتْ حَقَّ الْقَتْلِ بِمَا فَعَلَ ،
فَكَيْفَ قَتَلْتَهُ؟ .

قال الخضر: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبراً؟! .

فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيّفوهما، فوجدّا فيها جداراً يريد أن ينقض^(١)، قال الخضر بيده فأقامه^(٢) .

قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً! .

قال الخضر: هذا فراق بيني وبينك .

قال النبي ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ موسى لَوَدِدْنَا لو صبر حتى يَقْصَّ علينا من أمرهما^(٣) .

(١) أن يسقط .

(٢) هذا من إطلاق القول على الفعل . أي: فعَل الخضر وأشار إليه بيده فصلح واستقام .

(٣) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» ثانيها: في كتاب العلم باب ما يُستحب للعالم إذا سئل: أيُّ الناس أعلم؟ فَيَكِلَ العلمَ إلى الله . ١ : ٢٢٨ - ٢٣٣ من «فتح الباري» .

أثر العلم والجهل

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ^(١) رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذُلَّ عَلَى رَاهِبٍ^(٢)، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ^(٣) قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟»

(١) أي: في بني إسرائيل.

(٢) أي: رجل عابد غير عالم.

(٣) الأصل أن يقال: «إني قتلْتُ» بضمير المتكلم، لكن استعمل النبي ﷺ ضمير الغائب تنزهًا وابتعادًا عن التلفظ بضمير المتكلم في حال نسبة شيء إلى المتكلم غير مستحسن.
أي: ابتعادًا عن أن يقول ﷺ: «إني قتلْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، =

فقال : لا ، فَقَتَلَهُ ، فكمَّلَ به مائةً .
ثم سأل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ ، فَدُلَّ على
رجلٍ عالمٍ ، فقال القاتلُ : إنه قتلَ مائةَ نفسٍ ،
فهل له من توبة ؟ .

فقال - العالم - : نعم . ومن يَحُولُ بينه وبين
التوبة ؟ ! .

انْطَلَقُ إلى أرضِ كذا وكذا ، فإن بها أناساً
يَعْبُدُونَ اللهَ ، فاعْبُدِ اللهَ معهم ، ولا تَرْجِعْ إلى
أرضِكَ ، فإنها أرضُ سَوْءٍ .

فانْطَلَقَ ، حتى إذا نَصَفَ الطريقَ ^(١) أتاه
الموتُ ، فاخْتَصِمَتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ
العذابِ .

= قال : إنه قتل . . . وهذا من آداب الكلام في حكاية ما لا يليق
من أفعال الآخرين .

(١) أي : صار في منتصف الطريق ووسطها .

فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ
إِلَى اللَّهِ .

وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا
قَطُّ .

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ
بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قَيِّسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَإِلَى
أَيِّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى ^(١) فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ
الرَّحْمَةِ .

وَفِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ : « فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ ^(٢) بِصَدْرِهِ ، ثُمَّ مَاتَ .
فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ،
فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشَبِيرٍ ،

(١) أَدْنَى : أَقْرَبُ .

(٢) نَاءَ بِصَدْرِهِ : أَقْبَلَ بِصَدْرِهِ .

فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»^(١).

(١) رواه البخاري في أواخر كتاب أحاديث الأنبياء تحت عنوان «باب» ٧ : ٣٢٤ ، ورواه مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كُثر قتله ١٧ : ٨٣ بشرح النووي ، ولفظ الروایتين له . ويستفاد من الحديث - كما في «الفتح» - : «فضل التحول من الأرض التي يُصيب الإنسان فيها المعصية ، وفيه : إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية ، . وفيه : فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفناه أولاً غلبت عليه العبادة ، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفناه بالصواب ودلّه على طريق النجاة» .

بين يَدَي سِيرهم

أخبار القوم

قال الإمام أبو حنيفة: الحكاياتُ عن العلماء أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم^(١).

وقال الشيخ سيدنا أبو القاسم الجُنيد رضي الله عنه ونفعنا ببركاته: الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يقوِّي الله بها أبدان المريدين.

وقال الإمام المَوَاقُ في كتابه «سَنَن المهتدين» عن شيخه المَنْتُورِيِّ، بسنده إلى أبي العباس بن العَرِيف، قال:

(١) لأن التخلُّق بالآداب والتحليَّ بها أهمُّ بكثير من فَرَضِيَّات الفقه ونوادره.

كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَسْتَاذِي أَبِي عَلِيٍّ الصَّدَقِ
أَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، فَقَرَأَ يَوْمًا الْحَدِيثَ، ثُمَّ
أَغْلَقَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَ يَحْكِي حِكَايَاتِ
الصَّالِحِينَ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي: كَيْفَ يُجِيزُ الشَّيْخُ
أَنْ يَقْطَعَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَحْكِي
الْحِكَايَاتِ؟! قَالَ: فَمَا تَمَّ لِي الْخَاطِرُ حَتَّى نَظَرَ
إِلَيَّ الشَّيْخُ شَزْرًا^(١)، وَقَالَ:

- يَا أَحْمَدُ، الْحِكَايَاتُ جَنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ،
يُثَبِّتُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

قَالَ - أَبُو الْعَبَّاسِ -: فَمَا بَقِيَ فِي جَسَدِي
شَعْرَةٌ إِلَّا قَطَرٌ مِنْهَا الْعَرَقُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ دَهْشَتُ
قَالَ لِي:

- يَا أَحْمَدُ، أَيْنَ مُضْدَاقُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ؟

(١) بَطَرَفَ عَيْنِهِ مُغْضَبًا.

قلت: الشيخ أعلم.
قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ
أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(١).
وفي هؤلاء قال القائل:

جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ
بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ^(٢)

(١) من سورة هود: ١٢٠، والنص من «أزهار الرياض في أخبار
عياض» للشهاب المَقْرِي ١: ٢٢. وأسند كلمة الجنيد الخطيبُ
في «تاريخه» ٣: ٧٥ إلى أبي بكر الكتاني تلميذ الجنيد.
(٢) «فهرس الفهارس» ١: ٥١ لمحدث المغرب السيد عبدالحَيَّ
الكتاني رحمه الله تعالى.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

١

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت :
لما اجتمع أصحابُ النبي ﷺ - وكانوا ثمانيةً
وثلاثين رجلاً - ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ
في الظُّهور، فقال : « يا أبا بكر إنا قليلٌ » فلم
يَزَلْ أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسولُ الله ﷺ وتفرَّق
المسلمون في نواحي المسجد، كلُّ رجلٍ في
عشيرته .

وقام أبو بكر خطيباً، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ،
فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ،
وثَّار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين،
فضُربوا في نواحي المسجد ضَرْباً شديداً،

وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْباً شَدِيداً، وَدَنَا مِنْهُ
 الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ
 مَخْصُوفَتَيْنِ وَيُحَرِّفُهُمَا لَوَجْهَهُ^(١)، وَنَزَا^(٢) عَلَى
 بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى مَا يُعْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ أَنْفِهِ.
 وَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ يَتَعَادُونَ^(٣)، فَأَجَلَّتْ الْمَشْرِكِينَ
 عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ
 حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ. ثُمَّ
 رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ
 مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ.

فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ^(٤)
 وَبَنُو تَيْمٍ يَكْلُمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ.

(١) خَصَفَ النَعْلَ: جَعَلَ لَهَا نَعْلًا أُخْرَى، فَتَصْبِحُ حِينَئِذٍ ثَقِيلَةً
 مُؤَلَّمَةً. وَتَحْرِيفُهَا لِلْوَجْهِ: تَوَجِيهُ ضَرْبَاتِهَا نَحْوَ الْوَجْهِ.

(٢) وَثَبَ.

(٣) يَتَسَارِعُونَ. وَبَنُو تَيْمٍ: هُمْ قَبِيلَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ.

(٤) هُوَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فتكلم آخرَ النهار فقال: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟

فَمَسُّوا مِنْهُ بِالسِّنْتِهِمْ^(١) وَعَذَلُوهُ، ثُمَّ قَامُوا وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمُّ الْخَيْرِ: اُنْظُرِي^(٢) أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئاً أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ! .

فلما خَلَتْ بِهِ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ وجعل يقول: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟ .

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا عِلْمَ لِي بِصَاحِبِكَ .

فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْخَطَّابِ^(٣)، فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ .
فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ .

(١) أَسَاؤُوا إِلَيْهِ بِالْكَلَامِ . وَعَذَلُوهُ: لَامَوْهُ .

(٢) اُنْظُرِي: احْذَرِي وَانْتَبِهِي .

(٣) الظَّاهِرُ أَنَّ أُمَّ جَمِيلٍ هِيَ فَاطِمَةُ، أُخْتُ عُمَرَ، وَزَوْجَةُ

سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَقِيلَ: أُمُّ جَمِيلٍ اسْمُهَا رَمْلَةٌ، فَهِيَ غَيْرُ فَاطِمَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَقَالَتْ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ .

فَقَالَتْ : مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّنَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ ؟ .

قَالَتْ : نَعَمْ .

فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيحاً دَنِيئاً^(١) ، فَدَنَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَأَعْلَنْتُ بِالصِّيَاحِ وَقَالَتْ :

وَاللَّهِ إِنْ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ لِأَهْلِ فَسَقٍ وَكُفْرٍ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُمْ .
قَالَ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ .
قَالَتْ : هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ ! .

(١) الدَّنِيْفُ : مَنْ لَازَمَهُ الْمَرَضُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا رَأَتْهُ فِي حَالَةٍ تَعَبٍ وَمَرَضٍ شَدِيدٍ كَالَّذِي لَزِمَهُ الْمَرَضُ مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ .

قال: فلا عين^(١) عليك منها.

قالت: سالمٌ صالحٌ.

قال: أين هو؟.

قالت: في دارِ الأرقم.

قال: فإن الله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا

أشربَ شرباً أو^(٢) آتِيَ رسولَ الله ﷺ.

فأمهلتاه، حتى إذا هدأتِ الرَّجْلُ وسكنَ

الناسُ خرجتا به يتكىءُ عليهما، حتى أدخلتاه

على رسول الله ﷺ فأكبَّ عليه رسولُ الله ﷺ

فقبَّله، وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له

رسولُ الله ﷺ رقةً شديدة.

(١) العين هنا: الجاسوس. أي: لا تخافي منها فهي مأمونة الجانب.

(٢) «أو» هذه بمعنى: إلّا، والفعل المضارع بعدها منصوب بـ «أن» المضمرة وجوباً.

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس
بي بأسٌ إلا ما نال الفاسقُ من وجهي، وهذه
أمي برةٌ بولدها وأنتَ مباركٌ فادعُها إلى الله وادعُ
الله لها، عسى أن يستنقذها بك من النار، فدعا
لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت^(١).

(١) اسمها: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، وهي بنت عمِّ
أبي قحافة. والخبر من «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله
٣: ٣٠.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

٢

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رأفته بالأطفال من رعيته

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:
قَدِمْتُ رُفْقَةً مِنَ التَّجَّارِ، فَزَلُّوا الْمُصَلَّى^(١)،
فَقَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: هَلْ لَكَ أَنْ
نَحْرُسَهُمَ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّرَقِ^(٢)؟ .

فَبَاتَا يَحْرُسَانِهِمْ، وَيَصْلِيَانِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمَا،
فَسَمِعَ عُمَرُ بَكَاءَ صَبِيٍّ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ فَقَالَ لِأُمِّهِ:
إِتَّقِي اللَّهَ وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّكَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى

(١) هو مكان اجتماع الناس لصلاة العيد، ومصلى العيد في
المدينة آنذاك هو موضع مسجد الغمامة اليوم .

(٢) أي: السرقة .

مكانه . فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال : اتَّقِي
الله وأَحْسِنِي إلى صَبِيِّكَ . ثم عاد إلى مكانه .
فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمّه
فقال : وَيَحَكْ إِنِّي لَأَرَاكَ أُمَّ سَوْءٍ ، مَا لِي أَرَى
ابْنَكَ لَا يَقْرُ مِنْدَ اللَّيْلَةِ ؟ .

قالت : يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ أَبْرَمَتَنِي ^(١) مِنْدَ اللَّيْلَةِ ،
إِنِّي أُرِيغُهُ ^(٢) عَنِ الْفِطَامِ فَيَأْبَى .

قال : وَلِمَ ؟ .

قالت : لِأَن عَمْرَ لَا يَفْرِضُ إِلَّا لِلْفُطْمِ .

قال : وَكَمْ لَهُ ؟ .

قالت : كَذَا وَكَذَا شَهْرًا .

قال : وَيَحَكْ لَا تُعْجِلِيهِ .

فصلى الفجرَ وما يَسْتَبِينُ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ مِنْ

(١) أَضْجَرْتَنِي .

(٢) أَحْمَلُهُ عَلَى الْفِطَامِ وَأُرِيدُهُ مِنْهُ .

غَلَبَةِ الْبُكَاءِ . فلما سَلَّمَ قال : يا بُؤْساً لعمري ! كم
قَتَلَ من أولاد المسلمين ! .

ثم أمر منادياً فنادى : أن لا تُعْجِلُوا صِيبَانَكُمْ
عن الْفِطَامِ ، فإننا نَفْرِضُ لكل مولودٍ في
الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق : إننا نَفْرِضُ
لكل مولود وُلد في الإسلام^(١) .

(١) من «طبقات ابن سعد» ٣ : ٢١٧ .

الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه
سبب اجتهاده في العلم

عن عبدالعزيز بن خالد قال:

سمعتُ الإمامَ أبا حنيفة رضي الله عنه يقول:

كنتُ في أول الأمر لا أدخلُ في هذا العلمِ
هذا الدخول^(١)، حتى رأيتُ في المنام كأنني
أنبشُ قبرَ النبي ﷺ وأستخرجُ عِظامَه وأؤلفُ
بعضَها على بعضٍ، فانتبهُتُ من النومِ وبني من
الغَمِّ والبكاءِ ما الله به عليمٌ، وقلتُ: أنبشُ

(١) يريد: لم أكن أتعَمَّقُ في العلم هذا التعمُّق.

القبورَ وقد جاء فيه ما جاء^(١)؟! ثم من بين
القبور قبر النبي ﷺ؟! .

فأمسكتُ عن الجلوس ولزمتُ البيتَ، وتبينَ
ذلك فيَّ حتى عادني إخواني، فقال بعضهم
لي: قد نرى عروقك سالمةً، ولا نرى فيك أثرَ
المرضِ، فكيف هذا؟ فأخبرته برؤيائي. فقال:
يكون خيراً إن شاء الله.

فقال: ها هنا صاحبُ لابنِ سيرينَ عالمٌ
بالرؤيا، ندعوه لك؟ .

فقلت: لا، أنا آتيه. فأتيتُهُ.

فقال: هذه الرؤيا لك؟ .

فقلت: أنا رأيتها.

فقال: إن كان ما تقولُ حقاً لتَعْمَلَنَّ في إقامة

(١) يريد: أنه ورد عن النبي ﷺ التحذيرُ من هذا الفعلِ .
واستنكر من نفسه هذا أنه لم يفعله إلا في قبر النبي ﷺ! .

السُّنة عملاً لم يَسْبُقْكَ به أحدٌ، وَلَتَدْخُلَنَّ في العلم مَدْخَلاً بعيداً.

فلما سمعتُ ذلكُ منه اجتهدتُ في هذا العلم هذا الاجتهادَ. اللهم اجعلْ عاقِبَتَهُ إلى خير^(١).

(١) الخبر من «عقود الجُمانِ في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» لشمس الدين الصالحي ص: ١٧١.

الإمام الشافعي رضي الله عنه
أول اتصاله بالإمام مالك

عن الربيع بن سليمان قال :
سمعت الشافعي يقول : خرجت من مكة
فلزمت هذيلًا في البادية ، أتعلّم كلامها وأخذ
بلغتها ، وكانت أفصح العرب ، فأقمت معهم مدة
ارحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما أن رجعت
إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر أيام
الناس ، فمرّ بي رجل من الزُّهرِيِّين^(١) فقال لي :
- يا أبا عبد الله عزّ عليّ أن لا تكون في
العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة ! .

(١) أي : رجل من بني زُهرة ، إحدى قبائل العرب .

قلت: مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ يُقْصَدُ؟ .

فقال: مالكُ بنُ أنسٍ سيِّدُ المسلمين .

قال: فوقع ذلك في قلبي ، وعَمَدت إلى «المَوْطَأ»^(١) فاستَعَرْتُهُ من رجل بمكة وحَفِظْتُهُ .

ثم دخلتُ على والي مكة فأخذتُ كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس ، فقَدِمْتُ المدينة ، فبلَّغت الكتاب ، فلما قرأ والي المدينة الكتاب قال :

يا بنيَّ إِنَّ مَشِيَّي من جَوْفِ المدينة إلى جوف مكة حافياً راجِلاً^(٢) أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك ، فإنني لستُ أرى الذُّلَّ حتَّى أقِفَ على بابه ! .

فقلتُ : إِنَّ رَأْيَ الأميرِ أَنْ يُوجَّهَ إليه ليحضُرَ ! .

(١) اسم كتاب للإمام مالك جمع فيه بعض الأحاديث الثابتة .

(٢) ماشياً على قدميه غير راكب .

فقال: هيهات! ليت أني إن ركبْتُ أنا ومن
معي وأصابنا ترابُ العَقِيقِ^(١) يقضي حاجتنا...
فواعدتُه العَصْرَ، وقَصَدْنَا، فتقدَّم رجلٌ وقرَعَ
البابَ، فخرجتُ إلينا جاريةٌ سوادءُ فقال لها
الأمير: قولي لمولاي: إنني بالباب. فدخلتُ
فأبطأتُ ثم خرجتُ فقالت:

- إن مولاي يقول: إن كانت مسألةً فارفعها
إليَّ في رُقعةٍ حتى يخرجَ إليك الجوابُ، وإن
كان للحديث فقد عرفتَ يومَ المجلس.
فأنصرفَ.

فقال لها - الأمير -: إنَّ معي كتابَ والي مكة
في مهمٍّ.
فدخلتُ ثم خرجتُ وفي يدها كرسيٌّ،

(١) اسم وادٍ بطرف المدينة المنورة. يريد الوالي: ليت مالكاً
يقضي حاجتنا ولو تكلفنا الذهابَ إلى ذلك المكان البعيد.

فوضعتُه، فإذا بمالكٍ رجلٍ شيخٍ طُوال، قد
خرج وعليه المَهَابَةُ، وهو مُتَطَيِّلُسٌ^(١) فدفعَ إليه
الكتابَ فبلغَ إلى قوله: إن هذا - أي الشافعي -
رجلٌ شريفٌ، من أمره وحاله، فتحدّثه وتفعَلْ
وتصنعْ.

فرمى - مالك - بالكتاب من يده وقال: يا
سبحانَ الله قد صار علمُ رسولِ الله ﷺ يُؤخذُ
بالوسائل! .

قال: فرأيتُ الواليَ وهو يهابُه أن يكلمَه،
فتقدّمتُ إليه .

فقلت: أصلحك الله إني رجلٌ مُطَلَبِيٌّ، من
حالي وقصتي .

(١) لابسُ الطَّيِّلَسَانِ، وهو هذا المِنْدِيلُ المتداولُ وَضَعُهُ على
الرأسِ حتى أياَمنا .

فلما أن سَمِعَ كلامي نظر إليّ ساعة - وكانت
لمالك فِرَاسَةً - فقال لي :
- ما اسْمُكَ ؟ .

فقلت : محمد .

فقال : يا محمد اتقِ الله واجتنبِ المعاصي ،
فإنه سيكونُ لك شأنٌ من الشأن .
فقلت : نعم ، وكرامةً .

فقال : إذا كان غداً تجيُّ ، ويجيُّ معك مَنْ
يقرأُ لك «المُوطأ» .

فقلت : إني أقرأُ ظاهراً .

قال : فغدوتُ إليه وابتدأتُ ، فكلما تَهَيَّأتُ
مالكاً وأردتُ أن أقطع ، أعجبه حُسْنُ قراءتي
وإعرابي^(١) يقول :

(١) الإعراب هنا: البيان، أي: يقرأ قراءةً فصيحَةً بيّنة الحروف
والكلمات .

- يا فتى زدْ.
حتى قرأته عليه في أيامِ يسيرة. ثم أقمتُ
بالمدينة إلى أن تُوفي مالك بن أنس رضي الله
عنه^(١).

(١) الخبر من «مناقب الشافعي» للبيهقي ١ : ١٠٢ - ١٠٣.

من سيرة الأئمة العلماء

٣

أثر صحبة العلماء

قال عبدالله بن أبي موسى التُّسْتَرِي :
قيل لي : حيثما كنتَ فكنْ قُرْبَ فقيه .
قال : فأتيتُ بَیْرُوتَ إلى الأوزاعي ، فبينا أنا
عنده إذْ سألني عن أمري ؟ فأخبرته - قال : وكان
[مجوسياً ثم] أسلم - .

فقال لي : أَلْكَ أَبٌ ؟ .
قلت : نعم ، تركته بالعراق ، مجوسيٌّ .
قال : فهل لك أن تَرْجِعَ لعل الله يهديه
[على] يديك ؟ .

قلت : تَرَى لي ذاك ؟ .

قال : نعم .

فأتيتُ أبي فوجدته مريضاً .
فقال لي : يا بني أيُّ شيءٍ أنت عليه ؟ .
فأخبرته أنني أسلمت .
فقال لي : فأعرض عليَّ دينك .
فأخبرته بالإسلام وأهله .
قال : فإني أشهدك أنني قد أسلمت .
قال : فمات في مرضه ذلك ، فدفتنه ،
ورجعتُ إلى الأوزاعي فأخبرته^(١) .

(١) القصة في «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة، الورقة ١٧ / آ
من الجزء الخمسين، من مخطوطة المكتبة المحمودية
بالمدينة المنورة، وما بين المعكوفين زيادة مني .

من أخبار الأمراء مع العلماء

مَنْ أَعَزُّ النَّاسِ

في سيرة الإمام أبي زكريا يحيى بن زياد
الفراء^(١):

كان المأمون - الخليفة العباسي - قد وكل
الفراء يُلَقِّنُ^(٢) ابْنَيْهِ النَّحْوَ، فلما كان يوماً أراد
الفراء أن ينهضَ إلى بعضِ حَوَائِجِهِ، فابْتَدَرَا^(٣)
إلى نعلِ الفراء يقدِّمَانِهِ لَهُ، فتنازعا أَيُّهُمَا
يقدِّمُهُ، ثم اصْطَلَحَا على أن يقدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ
منهما فَرْدًا، فَقَدَّمَاها.

(١) كان من أئمة اللغة العربية، ورواة الحديث الثقات، وكانت وفاته سنة سبع ومائتين.

(٢) يُلَقِّنُ: يَعْلِّمُ.

(٣) ابْتَدَرَا: أُسْرَعَا.

وكان المأمون له على كل شيء صاحب^(١)،
فَرَفَعَ ذلك إليه في الخبر، فوجَّه^(٢) إلى الفراء
فاستدعاه، فلما دَخَلَ عليه قال له :
من أعزُّ الناس؟ .

قال : ما أعرف أعزَّ من أمير المؤمنين .
قال : بلى ! مَنْ إِذَا نَهَضَ تَقَاتَلَ على تقديم
نَعْلَيْهِ وَلَيَّا عَهْدِ المسلمين ، حتى رضي كلُّ
واحد أن يقدِّم له فرداً! .

قال : يا أمير المؤمنين لقد أردتُ منعهما عن
ذلك ، ولكنْ خَشِيتُ أَنْ أدفعَهما عن مَكْرُمَةٍ^(٣)
سَبَقَا إليها ، أو أَكْسِرَ نفوسَهما عن شريفة^(٤)

(١) صاحبٌ : أي : موظفٌ ومراقبٌ .

(٢) وجَّهَ إليه : أرسلَ إليه .

(٣) المكرمة : الفعل الحسن المحمود .

(٤) الشريفة : يريد : خَصْلَةٌ ترفع من قَدْر فاعلها .

حَرَصَا عَلَيْهَا، وَقَدْ يُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ
 أَمْسَكَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رِكَابَيْهِمَا^(١) حِينَ خَرَجَا
 مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَتَمْسِكُ
 لِهَٰذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ^(٢) رِكَابَيْهِمَا وَأَنْتَ أَسْنُّ مِنْهُمَا؟!
 قَالَ لَهُ: أُسْكُتُ يَا جَاهِلٌ، لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ
 لِأَهْلِ الْفَضْلِ إِلَّا ذُووُ الْفَضْلِ.

قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: لَوْ مَنَعْتَهُمَا عَنْ ذَلِكَ
 لَأَوْجَعْتُكَ^(٣) لَوْمًا وَعُتْبًا، وَأَلْزَمْتُكَ ذَنْبًا، وَمَا
 وَضَعَ مَا فَعَلَاهُ مِنْ شَرَفِهِمَا، بَلْ رَفَعَ مِنْ
 قَدْرِهِمَا، وَبَيَّنَّ عَنْ جَوْهَرِهِمَا، وَقَدْ ثَبَّتَ لِي

(١) الركب: المكان الذي يضع الفارس فيه قدميه حين يركب
 فرسه.

(٢) الحديث: الشاب.

(٣) هكذا في المصدر المنقول عنه، ولعل الصواب:
 لأوسعتك.

مَخِيلَةَ الْفِرَاسَةِ^(١) ، بفعلهما ، فليس يَكْبُرُ الرجل -
وإن كان كبيراً - عن ثلاث : عن تواضعه
لسلطانه ، ووالده ، ومعلّمه العلم ؛ وقد عَوَّضَتْهُمَا
عما فعلاه عشرين ألفَ دينارٍ ، ولك عشرة آلاف
درهم ، على حُسْنِ أدبك لهما^(٢) .

(١) المَخِيلَةُ : الظَّن . والفِرَاسَةُ هنا : التعرف على طبائع إنسانٍ ما
من ظاهره . يريد : أنه كان يتوسَّم في ولديه خُلُقاً كريماً ،
فقد بان له منهما ما كان يظنه فيهما .

(٢) من ترجمة الفراء في «تاريخ بغداد» ١٤ : ١٥٠ للخطيب .

من أخبار الصبر على العلم

١

وعانقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى ..

قال أبو نصر هارونُ بنُ موسى بن جندلٍ
النَّحْوِيُّ المتوفى سنة ٤٠١ هـ:

كنا نختلِفُ^(١) إلى أبي علي البغدادي رحمه
الله^(٢) وقتَ إملائه «النوادر»^(٣) بجامع الزَّهراء،
ونحن في فصل الربيع، فبينا أنا ذات يومٍ في

(١) أي: نتردد إليه لحضور مجلسه.

(٢) أبو علي البغدادي: هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي،
نسبة إلى قالي قلا، المتوفى سنة ٣٥٦، أقام في بغداد زمناً،
فلما رحل إلى الأندلس قيل له: البغدادي، وكان من أئمة
اللغة والعربية والأدب.

(٣) «النوادر» هو أشهر كتب أبي علي القالي، ويعرف أيضاً
بـ «أمالي أبي علي القالي» وهو مطبوع في جزأين، ولأبي =

بعض الطريق، إِذْ أَخَذْتَنِي سَحَابَةً^(١)، فما وصلتُ إلى مجلسه رحمه الله إلا وقد ابتَلْتُ ثيابي كُلَّها، وَحَوَالِي أَبِي عَلَيَّ أَعْلَامُ أَهْلِ قُرْطَبَةَ، فَأَمَرَنِي بِالذُّنُوءِ مِنْهُ وَقَالَ لِي :

مهلاً يا أبا نصر! لا تأسفْ على ما عَرَضَ لك، فهذا شيء يَضْمَحِلُّ عَنْكَ بِسُرْعَةٍ: بثيابٍ غيرها تُبَدِّلُهَا، ولقد عَرَضَ لِي ما أَبْقَى بِجَسَمِي نُدُوباً^(٢) تَدْخُلُ مَعِيَ الْقَبْرَ!.

ثم قال لنا:

كنتُ أختَلِفُ إلى ابنِ مجاهدٍ رحمه الله^(٣)،

= عبيد البكري المتوفى ٤٨٧ «التنبيه على أوهام أبي علي القالي» طبع في مجلد، وله شرح عليه سماه «سَمَطُ اللَّالِي» طبع في مجلدين كبيرين.

(١) أي: أصابني مطر شديد فجأةً.

(٢) النُّدُوب: جمع نَدْبَةٍ، وهي: أثر الجرح الباقي على الجلد.

(٣) هو الإمام المقرئ أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤.

فَأَذْلَجْتُ^(١) إِلَيْهِ لِأَتَقَرَّبَ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى
الدَّرْبِ الَّذِي كُنْتُ أَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مَجْلِسِهِ
الْفَيْئَةِ^(٢) مُغْلَقًا، وَرَأْتُ^(٣) عَلَيَّ فَتْحَهُ، فَقُلْتُ:
سُبْحَانَ اللَّهِ! أَبْكَرَ هَذَا الْبُكُورَ وَأُغْلِبَ عَلَى
الْقُرْبِ مِنْهُ^(٤) ! .

فَنَظَرْتُ إِلَى سِرْبٍ^(٥) بِجَنْبِ الدَّارِ،
فَاقْتَحَمْتُهُ^(٦) ، فَلَمَّا تَوَسَّطْتُهُ ضَاقَ بِي ، وَلَمْ أَقْدِرْ
عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا عَلَى النَّهْوِضِ ، فَاقْتَحَمْتُهُ أَشَدَّ

(١) الإذلاج: السير من أول الليل، أو السير في أي وقت من
الليل شئت.

(٢) أَلْفَيْئَةُ -: وجدته .

(٣) رَأْتُ: أَبْطَأَ، يَرِيدُ: صَعُبَ فَتَحَهُ فَتَأَخَّرَ.

(٤) غُلِبَ عَلَيْهِ: قَهَرَ. يَرِيدُ: بَكَرْتُ، لَكِنِّي تَأَخَّرْتُ، فَسَأَسْبِقُ

مَنْ قَبْلَ غَيْرِي، مِمَّنْ لَمْ يَبْكَرْ تَبْكَيرِي، وَحِينَئِذٍ يَقْرُبُ

مَجْلِسَهُ مِنَ الشَّيْخِ! فَهَذَا مِمَّا يَقْهَرُ.

(٥) السَّرْبُ: الطَّرِيقُ الْمُنْحَدِرُ.

(٦) اقْتَحَمْتُهُ: رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِيهِ.

اقتحام حتى نَفَذْتُ بعد أن تخرَّقت ثيابي ، وأثر
السَّربُ في لحمي حتى انكشف العظم !! . ومنَّ
الله عليَّ بالخروج ، فوافيتُ ^(١) مجلس الشيخ
على هذه الحال ! .

فأين أنت مما عَرَضَ لي ؟ ! وأنشدنا ^(٢) :

دَبَيْتَ للمجدِ ، والسَّاعون قد بَلَّغُوا
جَهْدَ النفوس وأَلْقَوْا دونه الأزرًا ^(٣)

(١) وافيتُ : أتيت ووصلت .

(٢) لفظ أبي علي في «الأمالى» ١ : ١١٣ : «وقرأت على أبي

بكر بن دريد لبعض العرب» . وقال أبو عبيد البكري في
«السَّمط» ١ : ٣٣٩ : «هذا الشعر لَحَوط بن رثاب الأسدي ،

شاعرٌ إسلاميٌّ ، وأحسبه أدرك الجاهلية» .

(٣) دبَيْتَ : مشيتَ على هَيْتِكَ . والسَّاعون : جمع ، مفردة :

ساع ، وهو من السَّعي ، ومعناه : السير السريع دون
الرُّكُض . والأزر : جمع إزار .

والمعنى : أَلْقَوْا عنهم أَزْرَهُم قبل أن يصلوا إلى المجد ،
تخفُّفاً واستعانة على السعي والجري .

وقوله «دبيت» : قال البكري في «السَّمط» ١ : ٣٣٩ في =

فكابدوا المجدَ حتى ملَّ أكثرُهم،
وعانقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَ ^(١)
لا تَحَسِبِ المجدَ تمراً أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبْرَ ^(٢)

= ضبط التاء: «ورواية ابن الأعرابي: «دببتُ للمجد» يعني نفسه، كذلك نقلته من «نواده» بخط الحامض أبي موسى أصل أبي علي». وضبطتها بالفتح لمناسبة القصة.

(١) كابدوا المجد: غالبوا رفعة المجد وصعوباته، حتى كلَّت قُواهرهم، فملَّ أكثرهم. والمجد: نيل الشرف والوصول إلى معالي الأمور. وعانق المجد: كناية عن بلوغ بعضهم لمراده وحصوله على المعالي التي طَلَبَهَا، وفيه تشبيه بديع. وشرط الوصول إلى المجد: أَنْ يُعْطَى حَقُّهُ وَمُتَطَلَّبَاتُهُ، وهذا هو (مَنْ أَوْفَى) أي: أعطاه حَقُّه ووفَّاه إياه. وَمِنْ أَهَمِّ مُتَطَلَّبَاتِهِ: الصَّبْرُ على عقباتِ طريق المجد، لذلك خَصَّهُ بالذكر: «وَمَنْ صَبَرَ».

(٢) لا تَظَنَّ أَنْ بُلُوغَ المجد لقمة حلوة سائغة، سهلة الوصول إليها، وسهلة الأكل، كأكلك للتمر! لا، لَنْ تَصِلَ إِلَى المجد حتى تصيبَ الشيءَ الكثيرَ من مرارة العيش: حتى =

قال أبو نصر: فكتبناها عنه من قبل أن يأتي موضعها في «نوادره» وسَلَّاني^(١) بما حكاها، وهان عندي ما عَرَضَ لي من تلك الثياب، واستكثرتُ من الاختلاف إليه، ولم أَفارقْه حتى مات رحمه الله^(٢).

= تَلَقَّ الصَّبِرَ، وَاللَّعَنُ: أبلغُ من الذُّوقِ وأكثرُ، وَالصَّبِرُ: عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ.

(١) سَلَّاني: نَسَّاني: جعلني أنسى شدة ما عَرَضَ لي بما جرى له.

(٢) الخبر في: كتاب «الصَّلَة» لأبي القاسم بن بَشْكُوَال رحمه الله تعالى، ٢: ٦٥٦ رقم الترجمة ١٤٤١.

من أخبار الصبر على العلم

٢

عون الله لأحبابه

قال أبو العباس البكري ، من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه : جَمَعَتِ الرَّحْلَةُ بين محمد بن جرير - الطَّبْرِي - ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِيِّ ، ومحمد بن هارون الرُّوْيَانِي بِمِصْرَ ، فَأَرْمَلُوا^(١) ، ولم يبقَ عندهم ما يَقُوتُهُمْ^(٢) ، وَأَضْرَبَهُمُ الْجُوعُ فَاجْتَمَعُوا لَيْلَةً فِي مَنْزِلٍ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَيْهِ ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسْتَهْمُوا^(٣) ، وَيَضْرِبُوا الْقُرْعَةَ ،

(١) أَرْمَلُوا : نَفِدَ زَادُهُمْ .

(٢) يَقُوتُهُمْ : يَمْسِكُ أَبْدَانَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ .

(٣) يَسْتَهْمُوا : تَفْسِيرُهَا مَا بَعْدَهَا : يَضْرِبُوا الْقُرْعَةَ .

فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام .
فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن
خزيمة فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ
وأصلي صلاة الخيرة^(١) ، فاندفع في الصلاة ،
فإذا هم بالشُّموع ، وخَصِيٍّ من قِبَل والي مصرَ
يَدُقُّ الباب ، ففتحوا الباب ، فنزل عن دابته .

فقال : أيُّكم محمد بن نصر؟ .
ف قيل : هو هذا ، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون
ديناراً ، فدفعها إليه .

ثم قال : أيُّكم محمد بن جرير؟ .
فقالوا : هو ذا ، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون
ديناراً ، فدفعها إليه .

ثم قال : أيُّكم محمد بن إسحاق بن
خزيمة؟ .

(١) صلاة الخيرة : صلاة الاستخارة .

فقالوا: هو هذا يصلي، فلما فرغ من صلاته
دفع إليه الصرة وفيها خمسون ديناراً.
ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ وفعل به
كذلك.

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً^(١) بالأمس، فرأى
في المنام خيلاً قال: إن المحامد^(٢) طوّوا
كشّحهم^(٣) جياً، فأنفذ إليكم هذه الصرار،
وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليّ أحدكم^(٤).

(١) قائلاً: نائماً وقت القيلولة، وهو منتصف النهار.

(٢) المحامد: جمع محمد، وهم الرجال الأربعة.

(٣) الكشّح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والمراد هنا:
أنهم جياع يسترون جوعهم لا يعرفون به.

(٤) من «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٢: ٢٥١.

الصبر في طلب العلم

قال الحافظُ ابنُ طاهر المقدسي رحمه الله :
أَقَمْتُ بَتْنِيسَ مَدَّةً عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ^(١) بَنِ
الْحَدَادِ وَنُظَرَائِهِ ، فَضَاقَ بِي - الْأَمْرُ - فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ
غَيْرُ دَرْهَمٍ ، وَكُنْتُ أَحْتَاجُ إِلَى خَبْزِ وَكَاعْدٍ ^(٢) ،
فَتَرَدَّدْتُ فِي صَرْفِهِ فِي الْخَبْزِ أَوْ الْكَاعْدِ ، وَمَضَى
عَلَى هَذَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ أَطْعَمَ فِيهَا ، فَلَمَّا كَانَ
بُكْرَةَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ قُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ كَانَ لِي
الْيَوْمَ كَاعْدٌ لَمْ يُمَكِّنِي أَنْ أَكْتُبَ مِنَ الْجُوعِ .

(١) يريد : أقرأ العلم على أبي محمد .

(٢) الكاغد : الورق .

فَجَعَلْتُ الدَّرْهَمَ فِي فَمِي ، وَخَرَجْتُ لِأَشْتَرِيَ
خَبْزًا ، فَبَلَغْتُهُ ! وَوَقَعَ عَلَيَّ الضَّحْكُ ، فَلَقَيْنِي
صَدِيقٌ وَأَنَا أَضْحَكُ ، فَقَالَ : مَا أَضْحَكُكَ ؟
قُلْتُ : خَيْرٌ . فَأَلَحَّ عَلَيَّ ، وَأَبَيْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ ،^(١) فَحَلَفَ
بِالطَّلَاقِ لَتَصُدِّقَنِي ! فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ ،
وَتَكَلَّفَ أَطْعَمَةً .

فَلَمَّا خَرَجْنَا لَصَلَاةِ الظُّهْرِ اجْتَمَعَ بِهِ بَعْضُ
وُكَلَاءِ عَامِلِ تَنِّيسٍ^(٢) ابْنِ قَادُوسٍ ، فَسَأَلَهُ عَنِي ،
فَقَالَ : هُوَ هَذَا . فَقَالَ : إِنْ صَاحِبِي - عَامِلُ
تَنِّيسٍ - مِنْذُ شَهْرٍ أَمَرَنِي أَنْ أُوصِلَ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ
عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ قِيمَتُهَا رُبْعُ دِينَارٍ ، وَسَهَوْتُ عَنْهُ ؛
فَأَخَذَ مِنْهُ ثَلَاثِمِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَجَاءَ بِهَا - وَقَالَ : قَدْ
سَهَّلَ اللَّهُ رِزْقًا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ ، وَأَخْبَرَنِي

(١) أبى من إخباره تَعَفُّفًا .

(٢) العامل : الأمير والوالي .

بالقصة . . . وكان بعد ذلك يَصِلُنِي ذلك القَدْرُ
إلى أن خرجتُ إلى الشام - (١) .

(١) القصة من «سير أعلام النبلاء» ١٩ : ٣٦٧ ، وما بين
المعترضين آخر القصة من خاتمة «الجمع بين رجال
الصحيحين» ص ٦٣٦ .

من أخبار الصبر على العلم

٤

هجر الملهذات في سبيل العلم

قال ابن أبي حاتم الرازي الإمام ابن الإمام :
كنا بمصرَ سبعة أشهر لم نأكل مَرَقاً: كلُّ
نهارنا مُقَسَّم لمجالسِ الشيوخ، وبالليل: النَّسخُ
والمقابلةُ، فأتينا يوماً أنا ورفيقٌ لي شيخاً،
فقالوا: هو عليلٌ.

فرأينا في طريقنا سمكةً أعجبتنا، فاشتريناها،
فلما صرنا إلى البيت، حضرَ وقتُ مجلسِ
بعضِ الشيوخ، فلم يُمكنَّا إصلاحه^(١)، ومَضَيْنَا

(١) هكذا ذكّر الضمير العائد على مؤنث «سمكة»، على تقدير:
رأس سمكة. أو على أنه واحد الحيتان.

إلى المجلس ، فلم تَزَلْ السمكةُ حتى أَتَى عليها
ثلاثةُ أيام ، وكاد أن يتغيَّر ، فأكلناه نِيئاً ، لم يكن
لنا فراغٌ أن نُعطِيَه مَنْ يَشُوِيَه . ثم قال : « لا
يُستطاع العلم براحة الجسد »^(١) .

(١) من «تذكرة الحفاظ» ٣ : ٨٣٠ و «سير أعلام النبلاء» ١٣ :
٢٦٦ ، وقوله : « لا يستطاع العلم . . . » من كلام يحيى بن أبي
كثير البصري أسندها إليه مسلم في «صحيحه» ١ : ٤٢٨ .

حِكْمٌ وَوَصَايَا جَامِعَةٌ

١ - ما عاقبتَ مَنْ عَصَى اللهَ فيكَ بمثل أن تُطِيعَ اللهَ فيه .

٢ - وَضَعُ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَجِيئَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ .

٣ - وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا .

٤ - وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ بِيَدِهِ .

٥ - وَمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

٦ - وَعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ ، تَعِشْ فِي

أَكْنَفَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي
الْبَلَاءِ .

٧ - وَلَا تَهَآوَنُوا بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فِيْهِنَّكُمْ اللَّهُ .

٨ - وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنْ فِيمَا قَدْ
كَانَ شُغْلًا عَمَّا لَمْ يَكُنْ .

٩ - وَلَا تَعْرِضْ لِمَا لَا يَغْنِيكَ .

١٠ - وَعَلَيْكَ بِالصَّدَقِ ، وَإِنْ قَتَلَكَ الصَّدَقُ .

١١ - وَلَا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ إِلَى مَنْ لَا يُحِبُّ

نَجَاحَهَا لَكَ .

١٢ - وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ .

١٣ - وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ، وَلَا أَمِينَ

إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

١٤ - وَلَا تَصْحَبِ الْفَجَّارَ ، فَتَعَلَّمَ مِنْ

فَجْوَرِهِمْ .

١٥ - وَذِلَّ عِنْدَ الطَّاعَةِ .

- ١٦ - وَاسْتَعْصِمَ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ .
 ١٧ - وَتَخَشَّعَ عِنْدَ الْقُبُورِ .
 ١٨ - وَاسْتَشِيرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ ،
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
 الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) .

(١) أسند هذه الوصايا والحكم ابنُ النجار في «ذيل تاريخ بغداد»
 ٢ : ٢٣١ ، أسندها إلى سعيد بن المسيب قال : «وضع
 عمر بن الخطاب للناس ثمانِي عَشْرَةَ كَلِمَةً ، حَكَمُ كُلِّهَا»
 وذكرها ، لكن في السند يعقوب بن الوليد الأزدي وقد حَكَمَ
 عليه الإمام أحمد وغيره بالكذب والوضع ، فلذا لم أنسبها في
 صدر الكلام إلى سيدنا عمر رضي الله عنه ، إنما ذكرتها على
 أنها حَكَمٌ ، لعظيم فائدتها .

يا أرحم الراحمين

قال الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه :
بَلَّغْنِي أَنْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - الصَّحَابِيُّ الشَّهِيرَ -
اكَتَرَى^(١) مِنْ رَجُلٍ بَغْلًا مِنَ الطَّائِفِ ، اشْتَرَطَ
عَلَيْهِ الْمُكْرِي أَنْ يُنْزِلَهُ حَيْثُ شَاءَ .

قال : فَمَالَ بِهِ إِلَى خَرَبَةٍ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ .
فَنَزَلَ ، فَإِذَا فِي الْخَرَبَةِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ .

قال : فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ قَالَ لَهُ - زَيْدٌ - : دَعْنِي
أَصِلْ رَكَعَتَيْنِ .

(١) اكترى : استأجر ، والمكري : المؤجر .

(٢) الخربة : موضع الخراب .

قال - الْمُكْرِي - : صَلِّ ، فقد صَلَّى قبلك هؤلاء فلم تَنْفَعَهُمْ صَلَاتُهُمْ شيئاً .

قال - زيد - : فلما صَلَّيْتُ أتانِي لِيَقْتُلَنِي ، فقلت : يا أرحم الراحمين . قال : فسمع صوتاً : لا تَقْتُلْهُ . فهاب ذلك ، فخرج يَطْلُبُ ^(١) ، فلم يجد شيئاً ، فرجع إِلَيَّ ، فناديت : يا أرحم الراحمين . فعل ذلك ثلاثاً .

فإذا أنا بفارس على فَرَسٍ في يده حَرْبَةٌ حديدٍ في رأسها شُعْلَةٌ من نار ، فَطَعَنَهُ بِهَا فَأَنْفَذَهُ من ظهره ، فوقع مَيِّتاً .

ثم قال - الفارس - لي :
لما دعوتَ المَرَّةَ الأولى «يا أرحم الراحمين» : كنتُ في السماء السابعة .

(١) أي : يبحث ليرى مَنْ المتكلم .

فلما دعوتَ المرة الثانية «يا أرحم الراحمين»
كنتُ في سماء الدنيا.
فلما دعوتَ في المرة الثالثة «يا أرحم
الراحمين»: أتيتُك^(١).

(١) الخبر من «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ١ : ٥٤٨ للإمام
ابن عبد البر رحمه الله تعالى ، آخر ترجمة زيد بن حارثة .

أبو مسلم عبد الله بن ثوبٍ
الخولاني رضي الله عنه

عن شُرَحْبِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ قَيْسٍ
الْعَنْسِيَّ الْكَذَّابَ لَمَّا ادَّعَى النُّبُوَّةَ بِالْيَمَنِ، بَعَثَ
إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ:
- أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟

قال أبو مسلم: ما أسمع^(١).
قال الأسود: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

(١) قال الإمام النووي في المصدر المنقول عنه: «قوله «ما أسمع» يحتمل معناه: لا أقبل، ويحتمل أن الله سدَّ مسامعَه عن هذا الباطل. واقتصر بعض الأئمة على الاحتمال الأول، والثاني عندي أظهر» انتهى باختصار يسير.

قال : نعم .

فردّ ذلك عليه .

فأمر بنارٍ عظيمة فُأجِّجَتْ ، فألقى فيها أبا مسلم ، فلم تضرّه . فقليل للأسود : إنفه عنك ، وإلا أفسد عليك مَنْ تَبَعَكَ .

فأمره بالرحيل ، فأتى أبو مسلم المدينة وقد تُوفي رسولُ الله ﷺ ، واستُخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

فأناخ أبو مسلمٍ راحلته بباب المسجد ، فقام يُصلي إلى سارية ، فَبَصُرَ به عمر ، فقام إليه فقال :

- مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ .

فقال : من أهل اليمن .

قال عمر : فلعلك الذي حرّقه الكذاب بالنار ؟ .

قال أبو مسلم : ذلك عبدُ الله بنُ ثوب - يريد

إِبْعَادَ السُّمْعَةِ عَنْ نَفْسِهِ - .

قال عمر: نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْتَ هُوَ؟ .

قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ .

فَاعْتَنَقَهُ ثُمَّ بَكَى ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ

فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى أَرَانِي فِي أُمَّةٍ

مُحَمَّدٌ ﷺ مَنْ فَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ

خَلِيلَ الرَّحْمَنِ^(١) .

(١) من «بستان العارفين» للإمام النووي رحمه الله ص: ٦٣ .

من مجابي الدعاء

قال الحافظ الثقة عباسُ الدُّورِيُّ :
حدثنا عليُّ بنُ أبي خَزَازَةَ - جَارُنَا - قال :
مرضتُ أُمِّي وَأُفْلِجَتْ وَأُقْعِدْتُ مِنْ رِجْلَيْهَا
دهراً - نحو عشرين سنة - فقالت لي يوماً :
لو أتيتَ هذا الرجلَ : أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ ،
فسألتَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لِي .
قال : فَعَبَّرْتُ^(١) إِلَى أَحْمَدَ ، فَدَقَّقْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ،
وكان في الدَّهْلِيزِ .
فقال : مَنْ هَذَا ؟ .

(١) عبرت : أي : جاوزت نهر دجلة من هذا الشاطئ إلى ذاك .

قلت له : يا أبا عبد الله رجلٌ من إخوانك .
قال : وما شأنك ؟ .

قلت : إن أمي مريضةٌ قد أُقِدتُ من
رجليها ، وهي تسألك أن تدعو الله لها .

قال : فجعل يقول : يا هذا فمَنْ يدعو لنا
نحن ؟ ! قال ذلك مراراً .

فكأنني استحييتُ ، فمضيتُ وقلت : سلامٌ عليكم .

فخرجتُ عجوزٌ من منزله فقالت : إني قد
رأيتُه يحركُ شَفَتَيْهِ بشيء ، وأرجو أن يكون
يدعو الله لك .

قال : فرجعتُ إلى أمي فدَقَقْتُ عليها الباب .
فقالت : مَنْ هذا ؟ .

فقلت : أنا عليٌّ .
فقامتُ ففتحتُ لي البابَ ! .

فقلت: لا إله إلا الله! أَيْشُ^(١) القصة؟
ففعالت: لا أدري، إلا أنني قد قمتُ على
رجلي.
فعجبتُ من ذاك وحمِدْتُ الله عزَّ وجلَّ.
قال: وذاك مسافةُ الطريق^(٢).

(١) كلمة عربية مختصرة من كلمتين: أي شيء، وتلازم التنوين.
(٢) القصة من «ذيل تاريخ بغداد» ٣: ٢٤٧ لابن النجار، و«سير
أعلام النبلاء» ١١: ٢١١.

من أخبار العباد

أبو علي اللامشي

قال السمعاني : سمعت أبا بكر الزاهد
السمرقندي يقول :

بِتُّ ليلة مع الإمام اللامشي في بعض
بساتينه ، فخرج من باب البستان نصف الليل ،
ومرَّ على وجهه ، فقمْتُ وتبعْتُهُ من حيث لا
يَعْلَم ، فوصل إلى نهر كبير عميق ، وخلَعَ ثيابه ،
واتَّزَرَ بِمُتَزَّر ، وغاصَّ في الماء ، وبقي زماناً لا
يَرْفَعُ رأسَه ! فظننتُ أنه غَرِق ، فصَحْتُ وقلت :
يا مسلمون غرق الشيخ ! .

فإذا بعد ساعة^(١) قد ظَهَرَ ، وقال : يا بُنَيَّ لا

(١) فترة زمنية يسيرة .

تَفَرَّقَ^(١).

فقلت: يا سيدي، ظننت أنك غرقت!.
قال: ما غرقتُ، ولكن أردتُ أن أسجد لله
سجدةً على أرضِ هذا النهرِ، فإن هذه أرضُ
أظنُّ أن أحداً ما سجدَ لله عليها سجدة! ^(٢).

(١) في المصدر المنقول عنه بطبعته: لانغرق، وأظن صوابها
ما أثبتته، يريد أن يُطمئنّه فقال له: لا تخف، لأنه لما ظهر من
الماء رأى علائم الخوف عليه فناسب أن يقول له: لا تفرق.
(٢) من «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» ١: ٢١٥ طبعة
حيدرآباد، و٢: ١٢١ طبعة عيسى البابي الحلبي بتحقيق
الدكتور عبدالفتاح الحلو.

... ولكن حبُّ من سَكَن الدِّيارا

قال القاضي عِيَاضُ رحمه الله في مدح
الحرمين الشريفين والحنين إليهما:

وجدير^(١) لمواطنٍ عُمِّرَتْ بالوحي والتنزيل،
وتردَّدَ بها جبريلٌ وميكائيلُ، وعَرَجَتْ منها
الملائكةُ والروح، وضجَّتْ عَرَصَاتُهَا^(٢)
بالتقديس والتسبيح، واشتملتْ تُرْبَتُهَا على جسد

(١) وجدير: أي حقيقٌ وواجب. وهو خبر، مبتدأه يأتي بعد أسطر
في قوله «أَنْ تُعْظِمَ...» فـ «أَنْ» وما بعدها في تأويل مصدر
مبتدأ «جدير» تقديره: تعظيم عرصاتِها.

(٢) وضجَّتْ عَرَصَاتُهَا: أي ارتفعت الأصوات في ساحاتها
الواسعة الفسيحة.

سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسوله ما انتشر، مدارسُ آياتٍ^(١)، ومساجد
وصلوات، ومشاهدُ الفضائل والخيرات،
ومعاهدُ البراهين والمعجزات، ومناسكُ الدين،
ومشاعر المسلمين، ومواقفُ سيد المرسلين،
ومُتَبَوِّأ^(٢) خاتم النبيين، حيثُ انفجرت النبوة،
وأين فاض عُبابها^(٣)، ومواطنُ مهبط الرسالة،
وأولُ أرضٍ مسَّ جلدُ المصطفى ترابُّها: أن
تعظمَ عَرَصاتِها، وتتنسّمَ نفحاتِها،^(٤) وتقبّل
ربوعها^(٥) وجُذُرانها:

(١) مواضع وأماكن تدرس فيها آيات القرآن الكريم.

(٢) المتبَوِّأ: المسكن ومحل الإقامة.

(٣) العُباب: الماء الكثير المتدفق.

(٤) يُتَقَصَّد ويتكلّف شَمُ نسيمها المطيّب المعطر.

(٥) الربوع: المنازل، وأصل معناها: المنازل في الربيع.

يا دارَ خيرِ المرسلين ومن به
هُدِيَ الأنامُ وخُصَّ بالآياتِ
عندي لأجلِك لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ
وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدُ الْجَمَرَاتِ^(١)
وعليَّ عهدٌ إنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي
مِنْ تَلَكُمُ الْجُدْرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ^(٢)
لَأَعْفَرَنَّ مَصُونٌ شِيبِي بَيْنَهَا
مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ^(٣)
لولا العوادي والأعادي زُرْتُهَا
أبداءً، ولو سَحْباً عَلَى الْوَجَنَاتِ^(٤)

- (١) اللوعة: شدة الحب، والصبابة: نحوها في المعنى.
(٢) المحاجر: جوانب العين، وملؤها: إكثار النظر إلى ما يمدحه
ويحبه. والجدرات: الجدران.
(٣) عفر وجهه بالتراب: أصاب وجهه منه. ومصون الشيب:
من إضافة الصفة إلى الموصوف، يريد: الشيب المصون -
وهو المكرم -. ويريد بالرشفات: التقبيل أيضاً.
(٤) العوادي: الأمور المانعة من الزيارة، والأعادي: جمع
عدو.

لكن سأهْدي من حَفِيل تحيِّي
لِقَطين تلك الدار والحُجرات (١)
أزكى من المسكِ المفتَقِ نفحةً
تغشاه بالأصال والبُكرات (٢)
وتخصُّه بزواكي الصلواتِ
ونوامي التسليم والبركات (٣)

(١) الحفيل: ما يُحتفل به لكثرتِه ونفاستِه. والقطين: الساكن المقيم.

(٢) المسك المفتَق: المسك المخلوط بغيره من نفائس الطِّيب. نفحة: رائحة. تغشاه: تغطيه. الأصال: جمع أصيل، وهو وقت ما بعد العصر وقبل الغروب. والبُكرات: جمع بُكرة، وهي أول النهار.

(٣) الزواكي والنوامي: بمعنى واحد، وهو الزائدة المباركة. والنص من «الشفاء» للقاضي عياض رحمه الله ٢: ٦٢٢ تحقيق البجاوي و٢: ٥٨ بحاشية الشُّمْنِي، و٣: ٤٣٩ من «نسيم الرياض» للخفاجي.

نصائح

١- قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

١ - ذكره البخاري في صحيحه ١ : ١٦٥ بشرحه «فتح الباري» .

ومعناه : تعلّموا أمور دينكم قبل أن تصيروا سادة المجالس
وصدورها، فإن الجهل قبيح بكل إنسان، ومن صدور
المجالس أشدُّ قبحاً .

وأيضاً : تعلّموا أمور دينكم قبل أن تكون سادة فتشغلوا
بأعمالكم عن تعلّم العلم .

وكلُّ سيادة لها مجالها، فالزوجُ سيّد في بيته، ويكون مسوداً
مرؤوساً في غير بيته، وليس مراد سيدنا عمر السيادة المطلقة
كالسلطان والملك .

وعلق الإمام البخاري بعد أن ذكر قول عمر هذا فقال : وبعد
أن تسودوا . أي تفقهوا وازدادوا فقهاً وعلماً قبل أن تكونوا سادة
وبعد السيادة والرئاسة، فإن التوقّف عن التعلّم مذموم وقطيعة
عن الخير، وركون إلى الجهل .

تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا.

٢ - وقال يحيى بن أبي كثير البصري أحد التابعين الفضلاء: ميراث العلم خيرٌ من ميراث الذهب، والنفس الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ، ولا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ.

٣ - وقال أبو العيْناء محمد بن القاسم بن خلاد:

مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْمَصَاعِبَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ.

٢ - أسنده إليه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠ : ١٤٣ - ١٤٤ ،
وأسند الجملة الأخيرة فقط الإمام مسلم في صحيحه ١ :
٤٢٨ .

ومعناها: أن العلم لا يُنال مع راحة الجسم، لا ينال إلا بالتعب والجهد والكد، أما مع الراحة فلن يكون العلم طَوَّعًا إرادتك وتصرفك.

٣ - أسنده إليه الخطيب في «الفيء والمفتق» ٢ : ١٥ والمعنى كما تقدم برقم ٢ . والرغائب: جمع رَغِيْبَةٍ . وهي الشيء المرغوب فيه .

- ٤ - وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه :
لولا الفَرْقُ من الله تعالى أن يَضِيعَ العلمُ ما
أفتيتُ أحداً، يكون له المَهْناءُ وعليَّ الوزرُ! .
- ٥ - وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيم الحَرَبِيُّ
رضي الله عنه :

-
- ٤ - رواه عنه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» أيضاً ٢ : ١٦٨ .
والفَرْقُ : الخوف . والمَهْناءُ : الهناءة والراحة . يقول : لولا
خوفي من الله عز وجل أن أَتَسَبَّبَ في ضياع العلم وموته لما
أفتيتُ أحداً، ولَصَرَفْتُ عني كُلَّ سائلٍ عن حكم شرعي ،
خشية أن أَتَحَمَّلَ مسئوليته ، لأن الفتوى في دين الله تعالى
خلافة عنه في بيان أحكام شريعته ، فأكون قد تَحَمَّلْتُ
المسئولية ، وقضيتُ للرجل حاجته واستراح .
- ٥ - من «الفقيه والمتفقه» ٢ : ٢٢ . وللحري كتاب «غريب
الحديث» طبع بعضه ، فلعل هذه الكلمة في مقدمته ؟ .
ويريد فيها : أن من العلوم الأساسية التي يحتاجها الفقيه :
اللغة العربية ، فينبغي أن تكون له معرفة تامة بها ، وإلا خانه
الفهم والتفقه ، فإن اللغة العربية تخللت في علوم الإسلام
تخلل الروح في الجسد ، فلا يَنْفَكَنَّ .

من تكلم في الفقه بغير لغةٍ تكلم بلسان
قصير.

٦ - وقال الإمام العاقل الحكيم الخليل بن
أحمد شيخ النحو والعروض:
لا تَرُدُّنَّ على مُعْجَبٍ خَطَأَهُ، فيستفيد منك
علماً ويتخذك عدوًّا.

٦ - من «المقاصد الحسنة» ص ٤٣٠ للحافظ السخاوي، وأسند
نحو هذا اللفظ الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ٢ : ١٣٨ إلى
تلميذ الخليل أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى.

إِثَارُ امْرَأَةٍ

قال الواقدي : ضِيقْتُ مَرَّةً مِنَ الْمِرَارِ - وَأَنَا مَعَ
يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ - ، وَحَضَرَ عِيدٌ ،
فَجَاءَتْنِي جَارِيَةٌ فَقَالَتْ :

- قَدْ حَضَرَ الْعِيدُ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ النِّفْقَةِ

شَيْءٌ .

فَمَضَيْتُ إِلَى صَدِيقٍ لِي مِنَ التُّجَّارِ ، فَعَرَّفْتُهُ
حَاجَتِي إِلَى الْقَرْضِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ كَيْسًا مَخْتُومًا
فِيهِ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِرْهَمٍ ، فَأَخَذْتُهُ وَانصَرَفْتُ إِلَى
مَنْزِلِي ، فَمَا اسْتَقَرَّرْتُ فِيهِ حَتَّى جَاءَنِي صَدِيقُ
لِي هَاشِمِيُّ^(١) ، فَشَكَا إِلَيَّ تَأَخُّرَ غَلَّتِهِ ، وَحَاجَتَهُ

(١) مَنْسُوبٌ إِلَى جَدِّهِ : هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْافٍ الْجَدِّ الثَّانِي لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إلى القَرْض، فدخلتُ إلى زوجتي فأخبرتها
فقالت:

- على أيّ شيءٍ عَزَمْتَ؟.

قلت: على أن أقاسِمَه الكيسَ.

قالت: ما صنعتَ شيئاً! أتيتَ رجلاً سُوقَةً^(١)
فأعطاك ألفاً ومائتي درهم، وجاءك رجلٌ له من
رسول الله ﷺ رَحِمٌ مِاسَّةٌ^(٢) تُعْطِيهِ نِصْفَ مَا
أَعْطَاكَ السُّوقَةُ؟! ما هذا شيئاً، أُعْطِيَ الكيسَ
كلَّهُ.

فأخرجتُ الكيسَ كلَّهُ فدفَعْتُه إليه، ومَضَى
صديقي التاجرُ إلى الهاشمي - وكان له
صديقٌ -، فسأله القَرْضَ، فأخرجَ الهاشميُّ إليه
الكيسَ، فلما رآه عرفه، وانصرف إليّ فخبّرني
بالأمر!.

(١) أي: من عامة الناس وليس ذا وَجَاهَةٍ ومكانة.

(٢) أي: قرابةً قَرِيبَةً.

وجاءني رسولٌ يحيى بن خالدٍ يقول :
- إنما تأخر رسولي عنك لشُغلي بحاجاتِ
أمير المؤمنين ، فركبتُ إليه ، فأخبرته بخبر
الكيس .

فقال : يا غلامُ هاتِ تلكَ الدنانيرَ .
فجاءه بعشرةِ آلافِ دينارٍ . فقال :
- خذْ ألفي دينارٍ لك ، وألفينِ لصديقك ،
وألفينِ للهاشمي ، وأربعةَ آلافٍ لزوجتك ، فإنها
أكرمُكم^(١) .

(١) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٣ : ١٩ - ٢٠ .

و «من عَجِيب ما يُرَوَّى في هذا الباب: أن
 الفَرَزْدَقَ دخل على يزيد بن المهلب، وهو
 يُعَذِّبُ في سجن الحجاج، فأنشده:
 أبا خالدٍ ضاعتُ خراسانُ بعدكم
 وقال ذوو الحاجاتِ: أينَ يزيدُ؟
 فلا قَطَرْتُ بالمرِّو بعدك قَطْرَةً
 ولا اخضَرَ بالمرَّوَيْنِ بعدك عُوداً^(١)
 فما لِعَزِيزٍ بعدَ عِرْكَ بهجَةً
 وما لِجِوَادٍ بعد جُودِكَ جُودُ
 وكان يزيدُ قد أَعَدَّ مالاً يُصانِعُ به الحجاجَ
 لِيُقْصِرَ من تعذيبه^(٢)، فقال لِغُلَمانِه: ادْفَعُوا إليه

(١) المرَّو، والمرَّوَيْن: اسمان لمدينتين عظيمتين في خراسان.
 (٢) وكان قدرُ المال: مائة ألف درهم! كما في «وَفَيَاتِ الأعيان» =

المال، ودعوا لحمي للحجاج يُقَطَّعه كيف
يريد^(١).

= لابن خَلَّكان ٦ : ٢٧٩ ترجمة يزيد المذكور. ويُصانِع به: أي
يقَدِّمه صنيعةً ورِشوةً للحجاج ليَكُفَّ عن تعذيبه.
(١) من «فضل العطاء على العُسْرِ» لأبي هلالٍ العَسْكري ص:
٢٢.

«وأعجب من هذا: أن عمرَ بنَ عُبيد الله بنِ
مَعْمَرٍ مرَّ بِزُنْجِيٍّ يأكلُ عندَ حائطٍ - أي بستانٍ -
وبين يديه كلبٌ، إذا أكل لُقْمَةً طَرَحَ له لُقْمَةً.

فقال له: أهذا الكلبُ كُلُّكَ؟.

قال: لا.

قال: فَلِمَ تُطْعِمُهُ مثْلَ ما تأكلُ؟.

قال: إني أَسْتَحْيِي من ذي عَيْنينِ ينظرُ إليَّ
أنْ أُسْتَبَدَّ^(١) بمأْكولٍ دُونَهُ.

قال: أحرُّ أنتَ أم عبدٌ؟.

قال: عبدٌ لبعضِ بني عاصمٍ.

(١) أي: أنفرد به من غيرِ مُشاركٍ فيه.

فأتى عمرُ ناديهم فاشتراه واشترى الحائط،
ثم جاءه فقال:

- أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْتَقَكَ؟ .

- قال: الحمد لله وحده، وَلِمَنْ أَعْتَقَنِي

بعده .

قال: وهذا الحائطُ لك .

قال: أَشْهَدُكَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ .

قال: وَيْحَكَ^(١)! تَفْعَلُ هَذَا مَعَ حَاجَتِكَ؟ .

قال: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجُودَ لِي بِشَيْءٍ

فَأُبْخَلَ بِهِ عَلَيْهِ»^(٢) .

(١) وَيْحَكَ: كلمة تقال في حال الترحُّم والإشفاق على

المخاطب، أما ويلك: فتقال في الدعاء على المخاطب

بالهلاك .

(٢) من «فضل العطاء على العسر» أيضاً ص: ٢٣ .

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة المؤلف
	من هدي القرآن الكريم: ١ - أولو الألباب، حالهم،
١٣	دعاؤهم، جزاؤهم
١٥	٢ - عباد الرحمن، أوصافهم، جزاؤهم
١٨	من هدي النبي ﷺ: ١ - فضل من عِلِم وعِلَّم
٢٠	٢ - أثر المجلس
٢٣	٣ - الرحلة في طلب العلم
٢٩	٤ - أثر العلم والجهل
٣٣	بين يدي سيرهم: أخبار القوم
	من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم: ١ - أبو بكر الصديق
٣٦	رضي الله عنه
	٢ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأفته بالأطفال من
٤٢	رعيته
	من سيرة الأئمة العلماء: ١ - الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه،
٤٥	سبب اجتهاده في العلم
	٢ - الإمام الشافعي رضي الله عنه، أول اتصاله بالإمام
٤٨	مالك

- ٥٤ ٣ - أثر صحبة العلماء
- ٥٦ من أخبار الأمراء مع العلماء: من أعزُّ الناس
- ٦٠ من أخبار الصبر على العلم: ١ - وعانق المجدَّ من أوفى
- ٦٦ ٢ - عون الله لأحبابه
- ٦٩ ٣ - الصبر في طلب العلم
- ٧٢ ٤ - هجر الملذات في سبيل العلم
- ٧٤ من وصايا الحكماء: حكم ووصايا جامعة
- ٧٧ من أخبار الصالحين: ١ - يا أرحم الراحمين
- ٨٠ ٢ - أبو مسلم عبدالله بن ثوب الخولاني
- ٨٣ ٣ - من مجابي الدعاء
- ٨٦ من أخبار العباد: أبو علي اللامشي
- ٨٨ ولكن حب من سكن الديارا
- ٩٢ نصائح
- ٩٦ من أخبار الأجواد: ١ - إيثار امرأة
- ٩٩ ٢ - ومن عجيب ما يُروى
- ١٠١ ٣ - وأعجب من هذا